

## الرسميات

لم يكذَّ انتخاب المسيو بوانكاره يذيع حتى أعلن رغبته في خلع نير الرسميات وميله الى حرية المعيشة . فهو يريد أن يؤتمَّ هذا المكان ، أو يختلف الى ذلك الموضع بنير عين ولا رقيب . وهو يتغني ان يثابر على مشاطرة المجمع العلمي الفرنسي أعماله . وان يتناول الطعام عند أصدقائه اين شاء دون ان يجاذر لومة لائم على مخالفته لقواعد العادات المرعية في الرسميات

إن الرغبة التي أبداهها المسيو بوانكاره على أثر انتخابه لرئاسة الجمهورية الفرنسية تدلُّ على عواطف ديموقراطية حقيقية كائنة في صدر ذلك الرجل العظيم الذي أجمعت الكلمة على استحسان انتخابه لتلك المنصب الرفيع . وهي لعمري الحق عواطف لا يسع كلَّ ذي عقل سائر الأطراؤها

أجل ان الرسميات المقضي على رئيس الجمهورية الفرنسية التقيّد بها في هذه الايام ، لم تعد معدودة شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الرسميات الكثيرة التقيّد التي كان العمل جارياً بموجبها في العصور الماضية في قصور ملوك فرنسا . ومع ذلك فان المسيو بوانكاره أنف من الخضوع لها

وهب سلمنا بوجوب العمل بمقتضى قواعد الرسميات في بعض الحفلات التي تقتضي تصدُّر رئيس الجمهورية فيها ، كالأعياد العمومية واستقبال رؤساء الحكومات الاجنبية وسفرائهم ، فلا يمكننا التسليم بضرورة بقاء ذلك الرئيس مقيداً بتلك القواعد في معيشته البيتية

ففي جلسة عقدت في ٢١ سبتمبر ( ايلول ) سنة ١٧٩٢ اقترح مانويل ان يقيّد زعيم الجمعية العمومية بقواعد رسميات تُعيد الى الدهن ذكرى بعض القواعد التي كانت مرعية في عهد الملكية الملقاة . فلحال ارتفعت أصوات الاعتراض على اقتراحه وأقيم التكبير عليه بالصوت الحي . وكان من جملة مقال تاليان في ذلك الصدد :  
« اني لبدعشني تباحثكم في أمر الرسميات . فلا يمكن ان يوضع موضع المناقشة

استثنى رئيس الجمعية بيزة خاصة حين لا يكون مزاولاً لأعمال منصبه . وهو حين يكون خارج هذه الردهة يعتبر فرداً من جملة أفراد الأمة .

وكأننا بالمسيو بوانكاره يرغب ، حين هو لا يزاول أعمال الرئاسة ، في ان يكون حراً يتصرف في أعماله كفرد بسيط من أفراد الأمة . فكان روح أجداده قد تقمصت فيه فدعته الى اجراء ذلك العمل الذي استوجب له الثناء

يرجع أصل الرسميات في فرنسا الى الملك فرنسيس الاول (١٤٩٤-١٥٤٧) وقد كان ملوك فرنسا قبله على غاية من البساطة في معيشتهم . فأراد هذا الملك ان يقتدي بمناظره العاهل شارل الخامس في الأبهة والعظمة الموروثين عن أجداده دوقات برغونيا

هذا كان بدء ادخال الرسميات الى بلاط فرنسا . وقد زادها هنري الثالث تعقيداً . وأما هنري الرابع فإنه بذل المجهود لجعلها بسيطة . وطال مناوأتها غير مرة . غير ان ماري المديشية زوجته كانت من قوم شديدي الاستمساك بأهداب الرسميات فالتصرت لها ، وزادتها تعقيداً على تعقيد

وكانت الرسميات في بلاط لويس الرابع عشر من أصعب الامور المقضي على الانسان العمل بها . فلم يكن الملك يجري حركة أو اشارة الا ويبادر الى قضاء أمره شخص من الاشخاص المعينين لتلك المهمة بموجب قانون الرسميات

فاذا نهض الملك من السرير ، قضت الرسميات على بعض الاشخاص ان ينهضوا باعباء خدمته . فهذا يقدم له قيصه ، وذلك سراويله . واذا جلس الى المائدة ، قام على خدمته جمهور من رجال البلاط يقدمون له بالتناوب ألوان الطعام وأنواع الشراب

فكانوا يأتونه بالشواء في حفلة منظمة ، فيسير في المقدمة جنديان يحمل كل منهما رمحاً على كتفه . ويتلوها خادم يحمل الشواء يتبعه أربعة من الحراس يحملون البنادق على اكتافهم . وكل ذلك لأجل قطعة من اللحم المشوي ، ولو كانت هذه

الحفلة تزيد في لذة الطعام لكانت معتفرة . ولكنها كانت تذهب بلذته لأن الطعام كان يبرد في اثناء ذلك

وظلت تلك الحفلات الرسمية المستهجنة معمولاً بها حتى اتقدت نيران الفتنة الكبرى فأخذت الملكة ماري انطوانت ، زوجة الملك لويس السادس عشر ، منذ قدومها الى الديار الفرنسية ، تتذمر من تلك الرسميات برسائل كانت تخطها الى والديها . ولما زُجّت في السجن بعد الثورة قالت : « اني استفدت شيئاً من الثورة فقد تخلصت من الرسميات »

فليحكم القارى من الحادثة الآتية عما اذا كانت الملكة مصيبة او مخطئة في قولها هذا :

حدث ذات يوم من أيام الشتاء أن الملكة ماري انطوانت كانت تغير ملابسها وقد تعرت ، واوشكت ان تلبس قميصها . وكانت عقيلة كامبان قيّمة غرفة الملكة حاملة القميص مطويّاً . فدخلت احدي نساء الشرف ، ونزعت قفازيها ، وتناوت القميص من القيّمة - ولا بدّ من ان يعلم القارى ان الرسميات كانت تقضي على كل شخص يقدم شيئاً ما الى الملك او الملكة بأن يكون عاري اليدين - فأخذت سيّدة الشرف القميص وهمت باعطائه الى الملكة . واذا بالباب يُحكّ - وينبغي للقارى ان يعلم ايضاً انه لم يكن يجوز لأحد ان يقرع باب الملك او الملكة ، بل كانت الرسميات تقضي ان يُحكّ الباب قبل فتحه - فتح الباب ودخلت دوقة اورليان - وهنا تبدو صعوبة أخرى وهي ان قواعد الرسميات كانت تقضي بأنه اذا دخل على الملك أمير من الأسرة المالكة ، او دخلت على الملكة أميرة من بيت الملك ، حين يكون الملك او الملكة يلبسان ثيابهما ، كان من حقّ الأمير او الأميرة ان يقوموا مقام السيد او السيدة المنوط بهما أمر تقديم الملابس للملك او الملكة

دخلت دوقة اورليان ونزعت قفازيها ، وهمت بأخذ القميص من سيّدة الشرف . ولكن الرسميات لم تكن تميز لهذه السيّدة اعطاءها القميص فأعادتها الى

عقيلة كامبان وهذه ناولتها للأميرة . وبيناهنّ على تلك الحال 'حك' الباب مرة أخرى ، وولجت كوتة بروفانس ؛ ولما كانت هذه الأميرة سلفة الملكة كان لها الأفضلية على دوقة اورليان فسلمت القميص إليها . وفي أثناء ذلك كانت الملكة العريانة ترتجف من شدة البرد . وكل ذلك كان لثلاثي تتخطى حدود قواعد الرسميات . ولما رأت عقيلة كامبان ان الأمر قد طال . وانه يُخشى ان تصاب الملكة بزكام من ذلك البرد ، وان قواعد الرسميات لا تدفع عنها غوائله الدميعة ، تناولت القميص وبادرت الى إلباس الملكة دون ان تنزع قفازيها ، ودون ان تحترم قبة الشعر العالية المبينة فوق رأسها . فبسمت الملكة لعمل عقيلة كامبان ، وان يكن قد ساءها من جهة خرق حرمة الرسميات



قال الكاتب بولس لويس كوريه : ان الرسميات تصير الملوك عبيداً للبلاط . ولقد أصاب وايم الحق هذا الكاتب في قوله ، لأن اولئك الملوك لم يكونوا يستطيعون ان يخطوا خطوة واحدة ، أو يبدوا أدنى إشارة ، دون ان يتدخل للحال في أمرهم انسان ليس منه فائدة

وبما هو أغرب من ذلك ان هذه الرسميات مع صرامتها في بعض الشؤون العادية كانت في غالب الأحيان مهلهة في أمور كثيرة عظيمة الأهمية كان للملك لويس الخامس عشر عدد كبير من الخدام القائمين على خدمته في لبس ثيابه وعلى الأئدة وغير ذلك . ولكنه لم يكن لديه خادم يوقد النار في غرفته ليدفئها . وقد قال لعقيلة دي باري انه كان غير مرة في فصل الشتاء يضطر بذاته الى ايقاد النار في غرفته ليصطلي عليها

أقبح ما في الرسميات ان المقرّبين من الملك كانوا يضربون حوله نطقاً يحول دون وصول الحقائق اليه ؛ فيبقى بينه وبين الشعب حاجزاً حصيناً ، فالرسميات التي كانت تحجب حاجات الشعب وأمانيه عن علم الملك ، كانت داعياً الى اضرار نيران الفتن . فقد حدث في اسبانيا من الفتن ما لم يحدث في غيرها من البلدان .

ويعزى ذلك الأمر الى الرسميات التي يُعمل بها في تلك المملكة أكثر مما يُحافظ عليها عند سواهم من الشعوب  
وقد نظم فيكتور هوغو الشاعر الفرنسي المشهور عقداً رواية حسنة سماها  
« روي بلاس » أدار رحي الكلام فيها على قطب الرسميات ، وما يتخللها من  
العادات التي يمجها الذوق السليم ، دون ان يركب مركب المغالاة ، او يتمادى في  
المبالغة بهذا الموضوع

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نورد هنا نكتتين لطيفتين تأتيان مصداقاً لما  
نحن في صدره : أمر ملك اسبانيا في خالي الحين أن يقدموا للملكة جياداً من  
كرام الجياد الاندلسية لتختار منها فرساً كريماً . فانتقت منها جواداً مطهماً وركبته .  
ولم تكد تمتطي صهوة حتى جعل يرفس ، فهوت الى الأرض وبقيت رجلها معلقة  
بالركاب . فأجفل الحصان جامعاً ، وجرّ وراءه الملكة . وكان ذلك الأمر في عرصة  
القصر والملك ينظر من الشرفة ، والاضطراب والقنوط بالغان منه . وكان في العرصة  
عدد غير قليل من الخفراء ورجال البلاط ينظرون الى الملكة ولا يجسرون على  
الدنو منها لتلميص رجلها من الركاب لأنه كان محظوراً على أي من الناس ان يمس  
شخص الملكة ولا سيما رجلها

وكان ثبت فارسان اسبانيوليان ، قدفتهما الحمية الى اقتاذ الملكة ولو ساهما  
ذلك الأمر الى اقتحام غمرات الحمام . فقبض أحدهما على لجام الحصان وأوقفه ،  
وملص الآخر رجل الملكة من الركاب . ثم انهما برحا القصر لساعتهما مسرعين  
الى منزلها ، وأمرجا جوادين ، وتركوا المدينة هارين من غضب الملك  
وقد في اسبانيا أيضاً أحد الملوك حياته بسبب تمسكه وتمسك رجال بلاطه  
بالرسميات . وذلك انه كان للملك فيليب الثالث موقد في غرفته اضرت فيه النار  
وارتفع لهيها . فاندلع لسانها اندلاعاً كاد يحرق وجه الملك . وحدث أن الشخص  
الموكول اليه أمر العناية بتلك النار كان غائباً . فلم يدر في خلد أحد من الحضور في  
حضرة الملك ان يقوم مقامه . وظن الملك ان كرومة مقامه تمنعه الابتعاد عن تلك

النار أو ابعادها عنه . ولذلك ظلّ قاعداً على عرشه حتى أثرت به النار تأثيراً  
أحرق وجهه ، وكان سبباً لوفاته بعد بضعة أيام

اما الملكة فكتوريا الانكليزية فقد كانت أعقل من ملك اسبانيا من هذا  
القيل ؛ فان في عملها والكلمات التي فاهت بها في الحال التي سنينها ، انتقاداً مرّاً  
لتلك الرسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان

كانت الملكة فكتوريا ذات ليلة جالسة في ردهة من ردهات قصرها وقد  
التفت حولها عصابة من الامراء والاميرات وكبار رجال المملكة . فجعل المصباح  
يدخن . فهضت الملكة وخفضت الذبالة . وكانت من وراء عملها هذا دهشٌ  
شديد استولى على الحاضرين . فصاحت احدى سيدات الشرف : أو مثل جلالتك  
تتنازل بذاتها . . . فأجابتها الملكة : نعم . فلواني قلت ان القنديل يدخن ، لكنت  
سيدة من سيدات الشرف قالت للحاجب : ألا ترى يا حضرة السيد ان قنديل  
الملكة يدخن ؟ وحينئذ كان هذا الاخير ينادي خادماً لاصلاحه . ولا ينبغي ان  
هذا الامر يستغرق وقتاً من الزمان يمكن ان يلهب القنديل في خلاله . ولذا قد  
آثرت تولي اصلاحي بذاتي . . .

وقد انتسخت الرسميات أو كادت في عصرنا من قصور الملوك في بلدان أوروبا  
الشمالية . ففي كوبنهاغن أو ستوكهولم أو كريستيانا لا يتعجب أحد من رؤيته الملك  
يتنزه وحده في الشوارع حاملاً عصاه بيده ، أو يركب الترامواي كأنه من سوقة  
الناس . وأما الرسميات في بلدان أوروبا الجنوبية فاتها لا تزال مرعية كما كانت في  
الماضي ، وهي تعتبر ارتناً اتصل بالشعوب اللاتينية من يزنطة

وعندنا ان أفضل شيء هو ما جرى عليه القوم في أوروبا الشمالية من البساطة  
في المعيشة . والتحرز من قيود الرسميات الثقيل . ورحم الله مرموقل القائل « فلنهرأ  
بالرسميات ، وبالتربة التي أنبتتها »

الباس طنوس الحويك

يوسف شكور باشا<sup>(١)</sup>

أيها السادة !

عادة الاعتذار عن التقصير أصبحت من مبتدلات العادات في  
 مستهل كلام الخطباء . غير انكم تفتخرون بخطيب اليوم أن يجري عليها ،  
 اذ لا يرى مندوحة عنها ، فيسألكم المذرة اذا بقي دون المقام الذي  
 يجب ان يكون فيه . كيف لا ويحق لأبي خطيب ان يتهيب هذا  
 الموقف أمام مثل هذا المحفل الخافل بوجوه البلاد أدباً وعلماً ومقاماً ،  
 ويحجم إزاء الموضوع الخطير الذي دُعيت للكلام فيه . بل إنني أمام

(١) نشر التأبين الذي لفظه منشيء هذه المجلة في حفلة الاربعين التي أقامتها جمعية  
 المساعي الخيرية الماروتية في ٢١ فبراير المنصرم تذكراً للمرحوم المنفور له يوسف باشا شكور .

هذا الجمع الموقر ، وفي تكريم فقيدنا الجليل ، لا أرى أجدر من ذلك  
الفقيد نفسه بالوقوف مؤبناً وخطيباً ، يجول جولاته المعروفة ، ويتدفق  
بفصاحته المشهورة

على أنه اذا كانت يد الموت قد عقلت ذلك اللسان الزلق ، وأخذت  
ذلك الصوت العالي ، وأبليت ذياك الصدر الرحب ، فلا أقل من ان  
تسمعوا اليوم صوتاً — ولو ضعيفاً — يندب تلك المناقب الغراء ، ويرثي  
هاتيك الهمم الشماء ، فيترامى هذا الصوت الضئيل الى مسامعكم ، كما  
يترامى الصدى محمولاً على تموجات الهواء

أيها السادة

عقدت الجمعية الخيرية هذه الحفلة ، ودعتكم اليها ، قياماً بالواجب  
عليها نحو رجل تفتخر بأن تعدّه من أعضائها ، وإحياءً لذكر فردٍ تعزّز  
أمتُهُ بأنه كان من أفرادها . ولست أدعي الإتيان على سرد حياة  
فقيدنا الكبير ، وحياته كانت حياة عمومية عرفها القاصي والداني ؛ كما  
انني لا ابغي تعداد مناقبه وخلاله ، وأتم أعرف بها ، وما فيكم الاّ القريب  
والصديق والرفيق . ولكن في إعادة ذكر السلف تنشيطاً للخلف ، وفي  
تمجيد فضائل السابقين إرشاداً وعظة للأحقين . وما أحوّجنا ، شبيبة  
اليوم ، الى مثل هذه الامثال الناجعة ، تستفزّ همنا ساعة الخمرل ، وتبعث  
فينا روح الإقدام وقت اليأس ، وتضيء طريقنا إبّان الظلام ، وترفع  
رؤوسنا الى العلى في عصر الماديات . وما أجل المثل الذي يتجلى لنا من  
هذا القبيل في حياة ابن شكور ، وهي صورة الاخلاص والتزاهة ، وعفة

النفس ورحابة الصدر ، والإقدام والذكاء والهمة العليا  
 تالله ! إن من كانت هذه حياته ، يحق لأسرته ، بل لأمته ، أن  
 يعظم في عينها مماته ، فتقدره حق قدره ، وتذرف المبرات على قبره .  
 وهذا ما فعله اليوم أسرته ، وطائفته ، وأمته . بل يبكيه وطنه : وطن  
 سلالته ، ووطن نشأته . فيحق أن يقال فيه ما قال شوقي في موت احد  
 نوابغ رجالنا :

حلّ بالأمين خطبٌ جليلٌ      رجلٌ مات والرجالُ قليلٌ

\*\*\*

### أيها السادة

من الصفات الكثيرة التي عُرِف بها فقيدنا ، يذُّ لي أن أقف عند  
 اثنتين وهما : تراثه وهمة اللتان لم يختلف فيهما اثنان . وقد ورث هذه  
 المناقب عن النبوة الكريمة التي يتحدّر منها ، وسهر على هذا الارث الادبي  
 الثمين سهرَ الجريص على درهمه . فلم يسمح بأن تمتد اليه يدٌ ، أو أن  
 تشوبه شائبة . فجمع بين تليد المرؤة وطارفها . وخدم مصر وأميرها  
 خدماً صادقةً ، كما خدمها ذووه من قبله . فان جده الأكبر ، شكور  
 كنعان ، هاجر من جبل لبنان - وكما انبت هذا الجبل الأشم من  
 الفروع الكريمة ؛ - وجاء مصر مع أخيه يوسف كنعان شكور . فدخل  
 هذا في خدمة الطيب الذكر الخالد الأثر ، محمد علي باشا الكبير . فعرف  
 ذلك النابغة قدر ابن شكور اللبناني - ومن أعظم مزايا كبار الرجال  
 معرفة قدر الرجال - فدرّ عليه نعماءه ، وولاه ادرارة دار الضرب ، ثم

عهد إليه تنظيم جمارك دمياط ، ولا تزال آثار همته ونزاهته مدوّنة في تاريخ مصر . وقد توارث ابناؤه تلك الهمة والنزاهة ؛ ويا ما أجمل ما تجلنا به في شخص حفيده - فقيدنا ، منذ درج من مهده ، حتى أُدرج في لحده . فكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف شكور التاميد ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف افندي شكور الموظف بالمالية ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف بك شكور المراقب في الأموال غير المقررة ؛ كما عرفه الجميع هماماً نزيهاً ، وهو يوسف باشا شكور مدير بلدية الاسكندرية ؛ كما ظلّ هماماً نزيهاً في خطبه وكتاباته : خلتان عرف بهما يافعاً وشاباً وكهلاً وشيخاً

وغنيّ عن البيان أنّ هاتين الخلتين لا تنتجان إلا عن فضائل جمّة مستكنة في الصدر ؛ كما انهما تُنتجان فضائل جمّة تتجلى بها النفس : فالنزاهة تفرض الاخلاص وسلامة النية وطهارة الطوية ؛ والهمة تفرض الذكاء وعزة النفس والميل الغريزي الى الأمور السامية . ومن هذه وتلك يتولد شرف المبدئ والترفع عن الدنيا والرمي الى عظام المقاصد . وقد برهن فقيدنا الكريم على ذلك في كل طورٍ من أطوار حياته وشهد له بذلك كلٌّ من عرفه من رئيس ومرؤوس

ففي مدرسة ليون الكبرى ، حيث تلقى دروسه ، كان آيةً في الذكاء والاجتهاد ، حتى برز أقرانه ، ونال قصبات السبق في لغة الاجانب على أبناء تلك اللغة ؛ فعاد مكلاً باكالييل الفار ، حاملاً شهادة البكالوريا العلمية وفي نظارة المالية ، أظهر من المقدرة على العمل والدراية في الأمور ما لفت إليه نظر رؤسائه ، ففتحوا له باب التقدم سريعاً . فولج به ، وهو

على تمام الاستعداد ، وأخذ يصعد في درجات الترتي قفزاً ، حتى صار مراقباً في الأموال غير المقررة . وعرف رياض باشا ونوبار باشا الطيبا الذكر قدر ذلك الموظف التزيه النشيط ، فولياه أمور مالية صعيد مصر ولما صحت العزيمة على انشاء بلدية الاسكندرية المختلطة سنة ١٨٩٠ ، رأت الحكومة ان تعهد بهذه المهمة الى رجل كفوء للقيام بها ، فوقع اختيارها على يوسف شكور بك . فنظم تلك البلدية أحسن تنظيم ، واشتهرت مقدرته ودرايته بين الوطنيين والاجانب ، حتى رأت الحكومة ان تعين مديراً لأول بلدية مصرية دولية ذلك الذي أنشأها ورتب شؤونها . فذلل ما كان هناك من الصعاب ، وأزال ما كان من العقبات . وظل في تلك الوظيفة عاملاً مجتهداً ، مدة اثني عشرة سنة . وخرج منها طاهر الذليل ، ناصع الجبهة ، مختلفاً في تلك المدينة - وهي مسقط رأسه - ما أثر غير دوائر تنطق الى الابد بحليل عمله وعظيم نزاهته واخلاصه وقد يطول بي تعداد ما أتاه هناك من الاعمال الخطيرة والاصلاحات الجليلة ، حتى بات لا يذكر اسم الاسكندرية والاصلاح فيها الا وشرن باسم شكور باشا . وقد رأت تلك البلدية بعد موته ان تطلق على أحد شوارع المدينة اسم رجلها الكبير ومصلحها العظيم : ويا نعم ما فعلت ! وفي سنة ١٩٠٣ غادر خدمة الحكومة نهائياً . على ان تلك النفس الكبيرة الناهضة أبت التمتع بالراحة التي استحققتها بعد جهادٍ طويل ؛ فتولى شكور باشا ادارة شركات مالية مختلفة . أزهرت على يده وأثمرت ؛ وكانت برهاناً جديداً على علو همة الرجل ، ومضاء عزمه ، وثائب فكره .

ورأى من الواجب عليه ان يخدم مصر ، حتى آخر رمق من حياته ؛  
 فعكف على خدمتها بقلبه ولسانه . فكان ذلك الكاتب البليغ الذي  
 لا يُجارى ، وذيالك الخطيب الفصيح الذي لا يبارى . فشغل ساعات  
 فراغه بتجوير تلك المقالات الشائقة في مواضيع اقتصادية وعمرانية ومالية .  
 ولم كان له في هذا الميدان من الجولات الصادقة ، والآراء الصائبة ، التي  
 تناقلتها صحف البلاد . ولم سمعناه في المحافل العمومية قارعا أعواد المنابر  
 يتدفق كالسيل الجارف ، بفصاحته السلابية ، وبلاغته الخلابية . فكانت  
 شبة قلمه كنصل الرمح أو أقوى ، وحدث لسانه كحدث السيف أو أمضى .  
 وقد أخلص في خدمة سمو أميرنا العباس ، كما أخلص جدّه من قبل في  
 خدمة جد الأسرة الخديوية الكريمة

شهد له بما سردتُ واعدت من جليل الأعمال وباهر الصفات كل  
 من عرفه - وما هم بالثر اليسير من وطنيين وأجانب . وقد ذكره  
 اللورد كرومر في تقاريره الرسمية أكثر من مرة بالخير والثناء . وبما قاله  
 فيه - ومثل هذه الشهادة لا يستهان بها : « ان مدير عموم بلدية  
 الاسكندرية ، يوسف شكور باشا ، رجلٌ سوري ذو نشاط كبير ودراية  
 عظيمة . ولا شك في ان اصلاحات خطيرة قد تمت على عهده في مدينة  
 الاسكندرية ، ويجب عليّ أن أجاهر بأن تحريات لجنة التحقيق لم تتمكن  
 من وجود ما يشين نزاهة شكور باشا . على أن تلك النزاهة لم تكن قط  
 موضوع الريب »

هذا قليلٌ من كثير ، أيها السادة ، مما عرف به قعيدنا الكريم .

ولكن استوقفكم طويلاً ، لو شئت أن أدرس حياته كموظف وكرجلٍ  
 وكفكر . ولذلك أكتفي بأن أقولَ بالأجمال : ان تلك الحياة كانت صفحة  
 ناصعة البياض ، لم تخط فيها الأسطور الهمة والتزاهة والشهامة والمرؤة  
 واني لا ذكر ابداً آخر مرة قابلته فيها ، وكان يُعد مقالاتٍ ضافية  
 في بعض المواضيع الاقتصادية الوطنية ، ولا أزال أرى ذلك الذكاء  
 اللامع ، وذلك الاخلاص الجسم ، وهو يشرح نظريته ورأيه في ذلك  
 الموضوع الحيوي . كما انني لا أزال اذكر آخر مرة سمعته فيها خطيباً ، وقد  
 وقف يؤين أحد عظماء رجالنا ، فكان يتنادينا بأعلى صوته « الى العلي ! الى  
 العلي ! .. » . وكأني الآن بروحه الطاهرة تشرف علينا من الأخدار  
 العلوية وتنادي بنا « الى العلي ! الى العلي ! .. »

الى العلي ! يا سادتي . فلتكن هذه الكلمة شعاراً لنا . . الى العلي !  
 يا شبيبة الشرق الناهضة . فلتكن هذه الآية السامية العظة التي  
 نستخلصها من حياة ذلك الرجل الكبير . الى العلي ، في أقوالنا وأعمالنا ،  
 الى العلي ، في مقاصدنا وآمالنا ! ..

### نهر

ونهرٍ حالفَ الأهواء حتى غدا طوعاً لها في كلِّ أمرٍ  
 اذا سرقت حلى الأزهار ألفت اليه بها فأخذها ويمجري  
 عبر العزير الانصاري